# الفلسفة الحيوية البرغسونية بعد الثورات البيوتكنولوجية

أ/ أودينة خالد جامعة 20 اوث 1955 سكيكدة– الجزائر
oudinakh@yahoo.com

تاريخ الارسال: 2019/08/03 تاريخ القبول: 2019/09/12 تاريخ النشر 2020/01/15

**الملخص:**

حاولنا في هذا البحث الكشف عن حقيقة التطور الحاصل في ميدان الدراسات الإبستيمولوجية البيولوجية وافرازاته العلمية والفلسفية، فوضحنا في البداية: النظرة العلمية السائدة حديثا، والتي تظهر من خلال القفزة النوعية التي حدثت في ميدان الدراسات الحيوية، الثائرة على التفسيرات الميتافيزيقية والأخذةً بالتفسير الآلي التجريبي، هو ما أحدث ردة فعل من طرف الفلاسفة المعاصرين، وبالتحديد الفر نسي هنري برغسون الذي كان له دورا في إعادة البيولوجيا إلى أحضان الفلسفة، وعمل على دحض التفسيرات العقلية العلمية للحياة، ومحاولة وضع منهجية حدسية لفهم جوهر الحياة وفق مقولات فلسفية تتطابق مع خصوصيتها وطابعها الحيوي الزماني.

**الكلمات المفتاحية:** البيولوجيا، العقلانية، التطور، الحدس، الحيوية.

**Abstract:**

In this work, we have attempted to elucidate epistemological progress in the biological field. We looked at the historical issue of science and philosophy in biology.

In the first chapter, we have clarified the current dominant scientific vision, which presents itself through the extraordinary development of studies in biology. The latter revolted against any metaphysical interpretation prevailing, on the other hand, mechanical and experimental interpretations which was the object of refusal by contemporary philosophers, quoting first H Bergson. This philosopher tried to return biology to the hands of philosophy; he thus denied any rational or scientific interpretation of life while setting up an intuitive methodology to understand the essence of life according to philosophical explanations which go with its specificities and its vital and temporal character.

**Keywords**: revolution, rationalism, biology, intuition, vitalist

**مقدمة:**

إن هدف العلم هو الوصول إلى تفسير حقيقي للظواهر قيد الدراسة للوقوف على ماهيتها وحقيقتها وهو ما يهدف إليه البيولوجي عند دراسته للظواهر العضوية، حيث تكمن غايته النهائية في تفسير كيفية عمل الوظائف والميكانيزمات الحيوية، وفهم الحياة في حد ذاتها، ولهذا يحاول جاهدا كشف شفرة وماهية الحياة رغم اعتبارها جوهرا ميتافيزيقيا، هذه التغيرات الحديثة اعتبرت الكائن الحي مثل الالة تخضع إلى نفس القوانين والمبادئ التي تفسر بها الظواهر الفيزيائية، وهو ما ادى الى تطور حقيقي وباهرا حير عقول المشتغلين في اطار الدراسات الابستيمولوجية المعاصرة التي حاولت الحد من هذه النزعة الارجاعية، وهذا ما نلمسه على مستوى الفلسفة الحيوية التي ثارت على التيارات الميكانيكية، وبنت نسقا فلسفيا جديدا مناهضا للانغلاق واعطت للكائن الحي هوية وروح جديدة بعدما سلبت منه انطلاقا من اتخاذ النموذج الفيزيوكيمائي في فهم الكائن الحي. حيث حاول برغسون إعادة النظر في الأسس والمقولات العلمية داعيا إلى الإيمان بفاعلية التفكير الفلسفي في فهم قضايا الحياة، وفي هذا الإطار جاءت الفلسفة البرغسونية لضبط حدود ومجال هذه الفلسفات السكونية ومحاولة تحطيم أصنام العقل اليونانية والممتدة حديثا، أي رفض أن يكون للعقل القدرة على معرفة الحقيقة في حركيتها المطلقة، ليؤكد فعالية المنهج الحدسي في الكشف عن حقيقة الحياة في تطورها.

ومن هنا يمكن طرح الموضوع كالتالي: هل باستطاعة العلم التجريبي الكشف عن جوهر الكائن الحي من خلال نظرته الميكانيكية؟ وهل فهم الحياة يتحقق من خلال النزعة الاختزالية الآلية؟ ام أن الحياة عند برغسون موضوع فلسفي لها مفتاح أخر من طبيعة روحانية حدسية؟

**أ. الفلسفة البرغسونية و الدراسات البيوتكنولوجية:**

**تمهيد:** لقد بقيت علوم الحياة في حالة تعثر حتى بدايات ق19م، في الوقت الذي قطعت فيه بقية العلوم شوطا بعيدا من التقدم في مجال التنظير والتطبيق، لكن فيما بعد تطورت الدراسات الحيوية وتغيرت بدرجة جد عظيمة في ظل شروط معرفية وابستيمولوجية محددة، واستمرت بهذا الشكل وبسرعة في القرن العشرين، ويرجع ذلك إلى توسيع المعارف وطرق انتشار الثقافة والتقنية، وكما أن التطور الذي حصل في علمي الفيزياء والكيمياء أعطى علم البيولوجيا دعما حاسما، و الفضل في ذلك يعود إلى الكثير من العلماء وعلى رأسهم: روني ديكارت، والنزعة التطورية برئاسة لامارك وداروين، بالإضافة الى ما قدمه كلود برنار من خلال منهجيته العلمية بغية تأسيس فيزيولوجيا تجريبية، وكل هذا الزخم العلمي كان ركيزة أساسية لتكون الفكر الحيوي البرغسوني، والا انه قبل الولوج لهذه التفسيرات الآلية العلمية وموقف

برغسون منها، يجب ان نقف على بعض التصورات والمفاهيم المنطقية، ومن هنا نتساءل ما هي البيوتكنولوجيا؟ وما هو موقف برغسون من النظرة الاختزالية الالية في الميدان البيولوجي؟

**1. مفهوم البيوتكنولوجيا**: biotechnologie هي مصطلح مركب من مقطعين: هما البيولوجيا biologie والتكنولوجيا technologie .

حيث يطلق العلماء على البيولوجيا من الناحية اللغوية: مصطلح علم الحياة، science de la vie وهو اسم مؤلف من لفظتين: بيوس bios ومعناها الحياة، ولوغوس logos ومعناها العلم[1]. والحياة: هي كل من كان ذا نماء، وهي نقيض الموت؛ أي التي تنفرد بخصائص تميزها عن غيرها من الجمادات، كالنمو، والتغذية....الخ، وتتناول البيولوجيا الحياة كشكل من أشكال حركة المادة، وقوانين تطور الطبيعة الحية، أو كما تعرف: بأنها حالة وجود الأجسام البروتينية التي يقوم العنصر الأساسي فيها على التفاعل الأيضي[*] Métabolisme (الهدم والبناء) مع البيئة الطبيعية المحيطة[2].

أما من الناحية الاصطلاحية: فإن التصور الواضح للحياة هو الذي يوصلنا إلى المعنى الحقيقي لكلمة بيولوجيا، إلا أنه لا يوجد تعريف واضح لها، وهذا راجع إلى غموض وتعقيد الكائن الحي، وهو ما أدى إلى عدم وجود أدنى اتفاق بين المشتغلين في هذا الموضوع، بل لا نجد حتى تعريفا موحدا للحياة، إلا أننا نجد محاولات عند بعض الأطباء والبيولوجيين،. حيث عرفها الفرنسي (لامارك) بقوله: "أن الحياة هي حالة الأشياء التي تسمح بحركة العضوية تحت تأثير الحاثات"[2]؛ ومعنى ذلك أن الحياة تظهر من خلال قدرة الكائن الحي على مقاومة جبروت الطبيعة من أجل الحفاظ على بقائه، وهذا ما أقرته نظرية التطور من خلال قانون الصراع من أجل البقاء.

كخلاصة يمكن القول أن البيولوجيا من الناحية الاصطلاحية يصعب تعريفها بدقة، لكون الحياة عبارة عن جوهر ميتافيزيقي، لكن تطور العلوم الفيزيوكيميائية المصحوبة بالاكتشافات التكنولوجية قد اثرت على نهوض وثورة علوم الحياة، التي استطاعت بفضل منهجها التجريبي ودقة الوسائل التكنولوجية

---

[1] جاك أتالي: ***معجم القرن الواحد والعشرين***، ت: يوسف ضومط، ط1، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 2000، ص84.

[*] الاستقلاب أو الأيض: Métabolisme هو اسم العملية البيوكيميائية في الجسم، وتتم عندما يبني الجسم الأنسجة الحية، ثم يفككها ويحللها لنتاج الطاقة الناتجة عن امتصاص الغذاء، ثم اندماجه مع الأنسجة، وتحريره على شكل ماء وثاني وأكسيد الكربون...الخ. (كميليا سلوم عكاوي: ***كشكول المعارف والعلوم***، ط1، دار الحرف والعرف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ص80.)

[2] عبد المنعم الحنفي: ***المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة***، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000، ص 320.

[2] Lamarck, ***philosophie zoologique*** ,librairie Schleicher, paris,1907, p15.

المستخدمة الولوج الى عمق الكائن الحي بهدف معرفة حقيقة هذه الظواهر الحيوية التي لم يكن من بالأمر السهل كشفها عنها، لأنها تحمل خصائص تميزها عن غيرها من الظواهر الجامدة، وهذا ما دفع العلماء الى الاعتماد على الوسائل التكنولوجية من اجل التعرف على حقيقتها الحيوية، ومنه نتساءل ما معنى التكنولوجيا؟

وتعرف التكنولوجيا من الناحية اللغوية technologie بأنها كلمة يونانية الأصل، تنقسم الى قسمين théchné ومعناها الفن والحرفة، وlogie وتعني علم والدراسة.[1]

أما اصطلاحا فيعرفها لالاند: "أنها علم التقنية الذي يدرس الطرق التقنية من جهة ما هي مشتملة على مبادئ عامة، أو هي متناسقة مع الحضارة... ومن بين ما يهتم بدراسته هذا العلم دراسة تطور الطرق التقنية في احد المجتمعات الإنسانية".[2]

ومن هنا فإن البيوتكنولوجيا أو التكنولوجيا الحيوية حيث ينسب هذا المصطلح الى روبرت بيد robert bud وهو أول من استعملها في عام 1917 في مجال التخمر الصناعي، وهي العلم أو التقنية التي ندرس بها من اجل كشف حقيقة الكائن الحي، أو هي تلك التقنية التي تتحكم وتتلاعب بالجينات والجزيئات البيولوجية داخل الكائنات الحية بهدف الحصول على كائنات معدلة جينيا...أو هي الاستخدام الصناعي للكائنات الحية والمواد البيولوجية المستخدمة فيها كالمضادات الحيوية والحمض النووي والهندسة الوراثية.... هدفها دراسة الخلايا الحية ومعالجة الجزئيات وتطبيقها لتحسين الحياة"[3]. وقد أكد جوليان هكسلي عام 1936 أن التكنولوجيا الحيوية ستكون مستقبلا أهم من العلوم الفيزيائية والكيميائية، وهذا راجع على أنها أكثر ارتباطا بالكائن الحي، وقد شجعت التقنيات ذات الأساس البيولوجي والهادفة الى تحسين حياة البشر بتقديمها حلولا للازمات والمشاكل الإنسانية.

## 2. الموقف البرغسوني من الدراسات البيوتكنولوجية:

**1. برغسون و الآلية الديكارتية(1650.1596)**: إن التطور الذي حصل في العصر الحديث انطلاقا من ثورة العلوم الفيزيوكيميائية، وما ترتب على ذلك من انعكاس العلم في التقنية هو ما ساعد مجموعة من العلوم على النهوض، حيث انكب العلماء على دراسة الظواهر الحية اعتمادا على مناهج جديدة

[1] -René scriban, biotechnologie, 5eme édition, 11rue Lavoisier paris, p17

[2] . اندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، ت: احد خليل، المجلد الأول، منشورات عويدات، لبنان، ط2، 2001، ص 1429.

[3] petit Larousse illustré, direction générale: sabelle jeuge-maynant, édition, 2013 p126

مستوحاة من علوم المادة الجامدة، ومن هنا بدأ العلماء بإعادة النظر في الفكر السابق من اجل تجاوز الشذوذ أو الأزمة المعرفية الخاصة بالكائن الحي، والابتعاد تدريجيا عن التفسير الفهم الميتافيزيقي مما مهد لزواله من الدراسات العلمية الطبيعية. ليبدأ ترسيم العلم البيولوجي السوي كحقبة جديدة[1]. وبهذا تكون كل الظواهر سواء كانت كائنات حية أو غير حية مرتبطة منطقيا بأسباب فيزيوكيمياوية. حيث يقول ديكارت: "فلا توجد بالأحجار والنباتات قوى خفية متوارية عنا كما لا تخفي اسرارا كالتجاذب والتنابذ، فلا شيء يوجد بالطبيعة الا ويرد الى أسباب جسمية محضة، ولا دخل للأرواح او الأفكار فيها"[2]. ومعنى ذلك أن الظواهر الطبيعية عموما والحية على وجه الخصوص لا يمكن فهمها إلا إذا أبعدنا الأفكار الميتافيزيقية والروحية، ويجب ردها إلى أسباب ميكانيكية محضة.

وأكد ديكارت أن طبيعة الأجسام وماهيتها الحقه ذات **امتداد** لا نهائي، ولا يمكن الوقوف على حقيقتها إلا بواسطة العقل وما يحويه من مبادئ رياضية، فالامتداد والحركة هما وحدهما الشيئان الخارجيان اللذان يبحث فيهما علم الطبيعة ولهما وجود حقيقي، أما الصفات والخواص المتبقية التي يقول بها الاتجاه الروحاني الاحيائي فهي خواص سحرية باطنية وترهات باطلة،[3] وهذا ما يتجلى في إرجاعه تفسير كل شيء إلى **قوانين الحركة** بما فيها العضوية الحية، ويعتبر الكائن الحي رغم تميزه بالتعقيد **فهو جوهر ممتد**، أي آلة تشبه الآلة المصنوعة، وهذا فيه نوعا من التأثر والإسقاط والاختزال بين الكائن الحي والمادة الجامدة أو الآلة، و يلزم من ذلك أن التعرف على حقيقة الكائن الحي مرتبطة حتما بمعرفة القوانين التي تتحكم في المادة الجامدة[4].

ويشبه ديكارت الكون بالآلة الضخمة المركبة أجزاؤها على نحو ما ركبت عليه الآلة المصنوعة من طرف الإنسان، ولهذا فلا فرق عنده بين ثمرة ظهرت من بذرة، وساعة ركبت من أجزاء لكي نقيس بها الزمن، وهذا ما أدى به إلى تبني التفسير الآلي حتى على مستوى **الظواهر الحية**، فأرجع كل مظهر من مظاهرها إلى قوانين المادة **والحركة**، وسعى من وراء ذلك إلى تأكيد آلية الحيوان، أي أنه في جوهره **امتداد وحركته** مشابهة للآلة وعملها، ومن هذا نجده ينكر وجود الأرواح أو النفوس التي تسير الجسم، وهذه خصوصية

---

[1] . أ. د. نزار دندش: ما هو العلم؟ رحلة التفكير العلمي، ط1، دار الفرابي، بيروت، 2009، ص158.

[2] – R.Descartes : prncipes de la philosophe, parties 4, vol 3, éd : f .Alquié, 1973, p502.

[3] . نجيب البلدي: ديكارت سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف بمصر، ص138..

[4] . سالم يفوت: الفلسفة والعلم في العصر الكلاسيكي، سيادة التصور الميكانيكي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1989، ص102.

العصر الحديث، ليثبت أن المادة الحية تخضع الى نفس القوانين والنظم التي تحكم الأجسام الطبيعية الأخرى.[1]

إلا أن برغسون كان له موقفا ابستيمولوجيا ثائرا على هذا الفكر السكوني، وبالتحديد ما اعتقده ديكارت أن العقل وما زود به من مبادئ فطرية يمكن معرفة الحقيقة، ولان العقل حسب برغسون غير قادر على كشف حقيقة الحياة وهذا راجع الى انه يلبس الحقيقة أثوابا مفصلة سابقا، وفق مقولات قديمة، أي يؤسس الحقيقة على أساس أشياء سبق له تصورها ومعرفتها، حيث يقول:" أنه من المحال أن نلبس الحقيقة الواقعية أثوابا حاضرة، كمفاهيمنا التامة التكوين، وانه من الضروري لنا أن نفصل هذه المفاهيم على أبعاد الحقيقة"[2]. ولهذا فإن العقل عاجز عن معالجة الظواهر المرتبطة بالحياة، لان النظر إلى الحياة خلال تطورها كانت نظرة جزئية مركزة على بعض العناصر التي لا تتفق مع هذا النمط الخاص من التعضية والتنظيم، ، ويواصل القول: " . العقل .كلما التفت إلى الكائن الحي، ووجد نفسه أمام التنظيم العضوي دهش وتحير ومهما يكن عنده حينئذ من فعل فإن فعله يقوم على إرجاع المعضى إلى غير المعضى"[3]. ومعنى ذلك أن العقل لا يستطيع أن يفكر في الطبيعة الحقيقية للحياة لأن طبيعته الانفصالية لا تتماشى وطبيعة الحياة المتصلة، والمتميزة بالحركة والتداخل المتبادل والمتطورة، حيث يقول:" فهو لا يستطيع أن يفكر في الاتصال الحقيقي ولا في الحركة الحقيقية، ولا في التداخل المتبادل، ولا في التطور المبدع الذي هو الحياة إجمالا إلا إذا قلب لاتجاهه الطبيعي"[4]. بالإضافة الى ان الفلسفة الديكارتية من خلال قوانيين الحركة المكانية لا يمكنها ان تقف على الديمومة الحقيقية، لان الحركة الخاضعة للمكان عند ديكارت قبلة للقياس، وبالتالي فالعلم هنا يبحث عن قياس الديمومة وليس على الديمومة ذاتها التي لا تدرك بالمناهج العقلية التحليلية الاستدلالية، بل بالمنهج الفلسفي الحدسي[5].

كما ان العالم الذي يتناوله ديكارت يموت ويحيا في كل أن، أي ان الماضي يعيد نفسه، أما عالم الاحياء عند برغسون فمن اهم سيماته التطور الذي يتضمن الاتصال الحقيقي للماضي بالحاضر، أي يتضمن

---

[1] . عثمان أمين: ديكارت، ط6، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1989، ص 214.

[2] هـ. برغسون: التطور المبدع، ت: جميل صليبا، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، 1981، ص48.

[3] المصدر نفسه، ص148.

[4] هـ. برعسون: التطور المبدع، المصدر السابق، ص148.

[5] J. Chevalier: bergson, édition 6 , libririe plon, , p3.

ديمومة كحط اتصال بينهما، وفي هذا يقول برغسون:" ان معرفتنا بالكائن الحي أو المنظومة الطبيعية تعتمد على الديمومة نفسها، أما معرفتنا بالمنظومة الصناعية فإنها لا تعتمد الا على الطرف النهائي"[1].

## 2. البرغسونية والحتمية في الظواهر البيولوجية عند كلــود برنار: (1813.1878)

أ ـ **مفهوم الحياة عند كلود برنار**: بمجيئه تغيرت النظرة إلى عالم الأحياء، وقدم عدة انتقادات خاصة في كيفية فهم الظواهر الحيوية، وأكد أن الحياة غير ممكنة بدون موت، وأن ما يظهر لنا من مظاهر للحياة ليست في حقيقتها إلا موت للأعضاء؛ أي أن الحياة لا تكون إلا بوجود مجموعة من التأثيرات والتغيرات الفيزيوكيميائية، بهذا فالحياة كما يقول: "هي إبداع وخلق عضوي، والموت هو هدم للعضوية، وتجليات الظواهر الكيميائية هو مظهر من مظاهر هدم العضوية الذي يستمر حتى بعد الموت، بينما ظواهر الخلق العضوي لا تستمر بعد الموت"[(3)]؛ أي أن ظواهر التهديم العضوي أو ما يسميه **كلود برنار** بظواهر الموت، تربط بمواد فيزيوكيميائية، كالانحلال، التخمر والاحتراق، كجملة من ظواهر التحليل والانقسام الكيميائي، لهذا فحين نتحدث عن ظواهر الحياة فنحن نشير إلى ظواهر الموت، فمثلا: كي تتجدد الأنسجة يجب تفكيك المواد المدخرة لاستهلاكها، وهنا تظهر عمليتي التهديم والتجديد مرتبطتان، فالتهديم عنده هو الشرط الأساسي للتجديد، لأن كل ما يتم فقده أو استهلاكه يعوض دون أن يسمح بأي اختلال؛ أي أن تلف وتجديد الأجزاء المكونة للعضوية يؤكد أنها فترات متواصلة من الحياة والموت، ومنه فلا وجود لحياة دون موت ولا وجود لموت دون حياة [(1)].

وقد سعى **كلود برنار** لتطبيق مبدأ الحتمية على ظواهر الحياة، كمبدأ ثابت لا يمكن تغييره، إلا أن المشكل الوحيد هو كيف يمكننا الوصول إلى إدراك الأسباب الحتمية الحقيقية التي تتحكم في حدوث الظواهر الحيوية، ومنه فإن علم الحياة عنده، لا يمكن دراسته إلا بنفس المبادئ والمناهج المطبقة على مستوى علوم المادة الجامدة، لان الظواهر الحيوية تحدث نتيجة شروط محددة تحديدا مطلقا، يظهر ذلك من خلال قوله: "أن أسس علم الحياة هي نفس أسس علوم المادة الجامدة، ولا يوجد فرق بين مبادئ

[1] هـ. برغسون: التطور المبدع، المصدر نفسه، ص25.

[(3)] *C.BERNARD :* principe de la médecine expérimentale, *presse universitaire de France, paris, 1947,* p 248.

[(1)]Ibid, p33.

علم الحياة، العلوم الفيزيوكيميائية..."[1]. ومنه فإن الدراسات العلمية التي قدمها **كلود برنار** تؤكد أن الوظائف الحيوية ما هي إلا نتيجة آليات وتغيرات فيزيائية وكيميائية يمكن الكشف عنها عن طريق التجريب الفيزيولوجي، وهذا ما أدى به إلى اعتبار أن الحياة هي الموت.

لكن تاريخ العلوم اثبت انه رغم النظرة العلمية التي قدمها كلود برنار، وبالتحديد الخصائص التي ميز بها الكائن الحي عن الأجسام الجامدة، ومحاولته تأسيس فيزيولوجيا ـ كأساس للطب التجريبي ـ ، تقوم على تفسيرات فيزيوكيميائية، فقد نعته "هنري برغسون" بأنه رائد النزعة الحياتية الجديدة، Néovitalisme حيث قال: "عند الحديث عن فلسفة **كلود برنار** نجده قد هاجم مرارا الاتجاه الحيوي، لكنه أينما فعل ذلك فإنه يقصد صراحة النزعة الحيوية لدى الأطباء والعلماء الفيزيولوجيين، الذين يؤكدون وجود قوة في الكائن الحي قادرة على الصراع ضد القوى الفيزيائية الكيميائية والتي تعيق فعلها.... لكن حينما يتعلق الأمر بالفكرة المنظمة والخالقة **فكلود برنار** يهاجم الذين يرفضون أن يروا في الفيزيولوجيا علما خاصا متميزا عن الفيزياء والكيمياء...إنه ليس عالما بالفيزيولوجيا من ليس لديه إحساس بالتنظيم، ومعنى ذلك أن هذا الترابط بين الأجزاء هو كل ما يميز الظاهرة الحيوية"[1].

ومعنى ذلك أنه رغم اعترافه بخصوصية الكائن الحي وتميزه، حيث اعتبر أن للكائن الحي نوعين من الظواهر، وهي ظواهر الخلق أو الإبداع العضوي، ومن خلاله تظهر الحياة، ولكن من جهة أخرى أقر بوجود ظواهر الهدم العضوي، والتي من خلالها عرف الحياة بالموت، ومعناها أنه أرجع الظواهر الفيزيولوجية إلى ميكانيزمات وتفسيرات فيزيوكيميائية، وهذه الفكرة تنفي حياة الكائن الحي وتجعل منه مجرد مادة جامدة كغيره من الأشياء، ومنه فتفسير **كلود برنار** يقلص المادة الحية ويجعل منها مادة جامدة، وهذا ما أدى إلى حيرة البيولوجيا وعدم استقلالها مثل بقية العلوم، مما جردها من موضوعها الخاص بها،[2]

---

[1]C.BERNARD: ***introduction à l'étude de la medecine experimentale***, *4eme edition, libraries de la grave, Paris; 1920,.*, p86.

[1]Henri Bergson, ***La pensée et le mouvant***, , 3 eme édition, press universitaire de France, paris, 1955, p 127.

[2] Gilles Renard, ***L'épistémologie chez Georges Canguilhem***, 2 édition: Nathan, paris,1996, pp 123-124.

ومن هنا يوضح لنا برغسون أن هناك تمايز بين المادة الجامدة والكائنات الحية، أي الحياة لا يمكن تقسيمها أو اختزالها إلى أجزاء كما هو معمول به في الظواهر الفيزيوكيميائية، لأن هذه الأجزاء ما هي إلا مظهر من مظاهرها، ولا يمكن أن تعكس حقيقتها وأصالتها سواء كانت الدراسة بطريقة تحليلية أو تركيبية، ومعناه أن ظواهر الحياة لا يمكن إدراك حقيقتها وتفسيرها اعتمادا على علمي الفيزياء والكيمياء، لأن كل ما اهتموا بدراسته هو ظواهر الهدم لا البناء التي تتجلى من خلالها الحياة، لأن الكثير من العلماء لاحظوا انه في ابسط مظاهر الحياة أثرا نفسيا فعالا. وفي هذا يقول:" وعلى ذلك فإن علم الفيزياء والكيمياء لا يتناول إلا ظواهر الهدم أعنى الميت إجمالا لا الحي". [1] وهذا يعتبره "جون بياجي"Jean Piaget (1980.1896) من مخلفات وأوهام المذهب الآلي، لأن الحقيقة تقتضي الإقرار بأن الظواهر الحية تتجاوز بكثير الظواهر الجامدة وأرقى منها، حتى وإن شابهتها من ناحية التركيب، وفي هذا يقول: "أن وهم الاختزاليين يتمثل في الاعتقاد أننا نستطيع اختزال البيولوجيا إلى القوانين الفيزيائية الكيميائية المعروفة...أي أن اختزال ميدان أكثر تعقيدا بأخر أكثر بساطة، يؤدي إلى غناء الأول بمميزات غير متوقعة في البداية، دون أن يمد الثانية ـ العلوم البيولوجية ـ بذلك"[(1)].

**وفي سياق ذي صلة** يؤكد برغسون في نقد **مبدأ الحتمية** أن هذا المبدأ لا يتضمن أن نفس العلل تؤدي الى نفس المعلولات، لأنه رغم وجود نتيجة واحدة من شيئين مختلفين وسارا في طرق مختلفة هو أمر عادي وطبيعي، ولكن أن نؤكد كمبدأ أنهما يرسمان طرق متطابقة وواحدة، فإن هذا يكون بعيد عن الحقيقة، إضافة الى ذلك أنه كلما كان التعقيد أكثر زادت استحالة صدق التطابق وابتعاد الآلية عن الحقيقة أكثر، وما بالك كما يقول برغسون:" إذا نسبت إلى تعقيد عضو حي رتبت فيه ألاف الخلايا المختلفة في نظام تكون كل خلية فيه كائنا عضويا"[2].

ومهما كانت النتائج مختلفة إلا أن الأسباب الجوهرية ذات الطبيعة النفسية لها شيء مشترك بينها، فمهما كانت الأجزاء لها طرق مختلفة ومتفرقة إلا أن حركتها تبقى تابعة لتأثير الاندفاعة الأولى، وفي هذا يقول: "ومعنى ذلك أن شيئا من الكل يجب أن يظل إذن في الأجزاء، وإذا كانت للكائنات العضوية الكثيرة الاختلاف أعضاء واحدة كان من الممكن أن يصبح هذا العنصر المشترك بطريقة من الطرق محسوسا"[3].

---

[1] هـ. برغسون: التطور المبدع، المرجع السابق، ص36.

[(2)] J. Piaget, ***Logique et connaissance scientifique***, éd: Gallimard, 1967, p98.

[2] هـ. برغسون: التطور المبدع، المرجع السابق، ص56.

[3] المصدر نفسه، ص54.

بالإضافة الى ذلك ان الاجسام الجامدة خاضعة لمبدا الحتمية لان حالتها الحاضرة تابعة للحالة الماضية، ومنه فهي خاضعة لأسس العقلية الرياضية، أما ظواهر الابداع العضوي والتطور التي تتألف منها الحياة بالذات، فإننا عكس ذلك لا نرى كيف يمكننا اخضاعها للمعالجة الرياضة.

### 3. برغسون والنظرية التطورية (مذهب التحول):

تعد النظرية التطورية الداروينية من بين أهم النظريات العلمية التي شكلت تحولا جذريا لأنها عملت على دحض كل المفاهيم والتصورات الميتافيزيقية واللاهوتية في وجود الكائنات، وجاء كتاب **داروين** أصل الّأنواع بفروض حاول اثباتها بشواهد علمية، ليؤكد وجود علاقة متبادلة بين البيئة وتركيب بنية الكائن الحي، مع الاعتراف بتأثير الوراثة في انتقال الصفات المكتسبة من جيل لآخر، ويظهر ذلك في:

1. **التطور والعوامل الخارجية:** تفترض النظرية التطورية أن كل مرحلة من مراحل التطور تلت التي قبلها بطريقة حتمية، وان العوامل الخارجية هي التي تحدد نوعية هذه المرحلة، وقد افترض داروين أن أصل الكائنات الحية ذات الملايين من الخلايا هي كائن واحد ذو خلية واحدة ظهرت صدفة، ونجحت عشوائيا في تكوين الخلية الحية الأولى، ثم بدأت آلية التطور بالعمل، ومن هنا يبدأ تطور الحياة في الكائنات العضوية من البساطة إلى الدقة والتعقيد، وأن الطبيعة وهبت الأنواع القوية فقط عوامل البقاء والنمو والتكيف مع البيئة[1]. حيث يقول داروين:" إننا إذ ننظر في الطبيعة نجد أن التحولات المفيدة للعضويات قد تحدث ويتكرر حدوثها فيها، تتحقق دائما، إن الأفراد التي تخصها الطبيعة بتلك التحولات تصبح قادرة من دون غيرها على الاحتفاظ بكيانها في التناحر على البقاء... وهي سنة طبيعية تدفع النظام العضوي برمته إلى التقدم والارتقاء في فترات الزمان"[2].

2. **الانتخاب أو الاصطفاء الطبيعي:** يظهر لداروين فيما بعد أنه العامل الأساسي في توليد السلالات النافعة، وأن الطبيعة وظروفها يمكن أن تؤدي إلى صراع بين الكائنات الحية، حيث يؤكد أن التناحر على البقاء نتيجة محتومة لم في طبيعة العضويات من قابلية الازدياد والتكاثر، وكل كائن في الوجود إن أنتج في حياته عدد وافرا من البيض أو البذور فلا بد من أن ينتابه الهلاك في بعض أدوار حياته، وإلا فإن عدد

[1] . اندريه كريستون: برغسون، حياته، فلسفته، ت: نبيه صقر، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص 20.
[2] . تشارلز داروين: أصل الأنواع، ت: إسماعيل مظهر، مكتبة النهضة، بيروت، ص281.

أفراده يتكاثر بنسبة هندسية كبيرة، وهذا ما يؤدي إلى قصور بقاع الأرض على عيش تلك الكائنات، ومما يؤدي الى عمل الكائن القوي القضاء على الضعيف منها،( التناحر على البقاء).

إلا ان برغسون أكد أن للكائن قدرة على نقل الصفات المكتسبة إلى الجيل الذي يليه، حيث أن بعض البيولوجيين يميلون إلى الإقرار أن التغير الذي يحدث نوعا جديدا لا يعتبر تغيرا عرضيا ملازما للبدرة نفسها، ولا تغير خاضعا لحتمية فريدة النوع تنمي صفات معينة في اتجاه معين مستقلة عن كل اعتبار نفعي، وإنما:" التغير يتولد من الجهد الذي يبدله الكائن في سبيل ملاءمة الشروط التي ينبغي له الحياة فيها، وهذا الجهد قد يكون مجرد تمرين ميكانيكي لبعض الأعضاء حادث بطريقة ميكانيكية تحت ضغط الظروف الخارجية، ولكنه ينطوي على شعور وإرادة كذلك"[1]. كما يؤكد ان التطور لا يفسر في المقام الأول بالتكيف مع البيئة، وانما يفسر التكيف فقط منطلقات والتواءات التطور، لكنهم لم يقفوا على جوهر التطور الزماني[2].

وأكد برغسون أن الفروق ناشئة عن نمو الاندفاع الذي انتقل من بدرة إلى بدرة خلال الأفراد، وأنها ليست بالتالي أعراضا محضة، ولكنها يمكن أن تظهر في وقت واحد وعلى صورة واحدة لدى جميع أفراد النوع الواحد أو لدى عدد من ممثليه على الأقل. وهذا ما يمكن أن نصطلح عليه **بالاندفاعية الأصلية للحياة** التي تنتقل من جيل من البدور إلى أخر بعده، وذلك بواسطة الكائنات العضوية النامية التي تؤلف نقطة الاتصال بين تلك البدور، حيث يقول: " إن هذه الاندفاعة التي تحتفظ ببقائها على خطوط التطور التي توزعها هي العلة العميقة للتغيرات"[3]. ويصرح أن :" لا شك أن تطور العالم العضوي ليس محددا من قبل في جملته، ونحن نزعم بعكس ذلك أن تلقائية الحياة تتجلى في إبداع دائم لصور تتلو غيرها من الصور، لكن هذا اللاتعين لا يمكن أن يكون تاما..."[4]. ومنه فبرغسون يؤكد أن امتزاج الأسباب الفيزيائية الكيميائية لا يكفي لضمان النتيجة، لأن هناك علة نفسية لها دور أساسي في احداث الواهر البيولوجية، والتالي لا يمكن الاخذ بالتفسير الالي الاحادي المادي.، ومنه فالحقيقة تتغير حسب طبيعة الحالة النفسية، أي تكون سلسلة ديناميكية من الأحوال المتداخلة التي تؤدي الى فعل حر عن طريق تطور طبيعي، كما ان هذه النظرية لم تفهم حسب برغسون التطور الداخلي على حقيقته الذي يوقفنا

[1] اه. برغسون: التطور المبدع، المصدر السابق، ص 74.

[2] H.bergson : la pensé et mouvant, p7.

[3] نفسه، ص 83.

[4] نفسه، ص 82.

على جوهر الحياة، حيث يقول:" من اجل معرفة العلم الحق حول وعي الكائن، يتوجب الدخول الى ذاته، والتوافق معه والصيرورة فيه..." [1].

ومنه نخلص الى أن التفسير الميكانيكي حسب برغسون يحمل في طياته فلسفة ميتافيزيقية، لأنه يجعل التفسير العلمي ثابت وسرمدي، أي أنه مبني على إمكانية التنبؤ بالمستقبل على أساس إدراك الماضي والحاضر، لكن ما يرتبط بحقيقة الحي وديمومته لا يمكن إدراكه أو البحث عن حقيقته بمقولات عقلية ثابتة، لأن العقل عاجز عن ذلك، ومنه فالتفسيرات الميكانيكية لا تصدق إلا على المنظومات القابلة للتحليل الآلي و الصناعي، أما الكل نفسه والمنظومات التي تتكون تكونا طبيعيا فإننا لا نستطيع التسليم قبليا بإمكان تفسيرها تفسيرا ميكانيكيا، ولو صح ذلك لأصبح الزمان باطلا وغير حقيقي. ومن هنا نتساءل ما حقيقة الظاهرة الحيوية عند برغسون؟ وكيف يمكن معرفة جوهرها وفك شفراتها؟

### ب . فلسفــة الظواهر البيولوجيــة عنـــــد برغسون

**1. حقيقة الحياة عند برغسون:** يثبت برغسون أن كل إبداع ما هو إلا نتيجة مرتبطة ومحددة بأسبابها النوعية الخاصة، لا يمكن أن ندركه أثناء انبثاقه، لأن من مميزاته أنه غير منقسم ولا يمكننا التنبؤ به، لأنه نتيجة ليست تكرارية حتمية، وهذا الأمر لا يمكن ضبطه من الخارج أو تعبر عنه بلغة العقل المحض، بل نشعر به في داخلنا، حيث يقول: " فالإبداع هو الجديد الذي لا يمكن التنبؤ به ينحصر دائما في تحليله إلى عناصر معلومة وقديمة مرتبة في نظام مختلف"[2].

ويؤكد برغسون أن الأخطاء التي يقع فيها الباحثون في ممارساتهم البيولوجية الطبيعية هو تصورهم كل حقيقة واقعية رغم ديمومتها واتصالها على نموذج جسم صلب ثابت نهائيا، وفي هذا يقول برغسون أن: " الحياة هي قبل كل شيء نزوع إلى التأثير في المادة الجامدة، وهذا التأثير غير محدد مسبقا، ومن اجل ذلك كان التنبؤ بالصور المختلفة التي تخرجها الحياة خلال تطورها غير ممكن ويتصف هذا التأثير بصفة الجواز والإمكان، ويتضمن عنصرا ضئيلا من الاختبار، يفترض التطور السابق لعدة أفعال ممكنة".

إن الحياة عند برغسون ليست فيزيائية بسيطة، ويمكن تحديدها، بل هي أعمق من ذلك، فهي كالقنبلة التي تنفجر وتنبعث منها قطع تتجلى في الفرد وانقسامه عن طريق التناسل إلى أفراد من نفس النوع،

[1] هـ. برغسون: الطاقة الروحية، ت: سامي الدروبي، دار الفكر العربي، ط1، 1963، ص9.
[2] هـ. برغسون: التطور المبدع، المصدر السابق، ص150.

ويرجع هذا الانقسام إلى مقاومة الحياة للمادة الجامدة التي وجب عليها اجتنابها أولا. ومعنى ذلك أن الحياة تحمل في ثناياها قوة متفجرة ترجع إلى ماضي نزعاتها، حيث يقول:" أن الحياة نزوع وماهية النزوع نموه على صورة مجتمعة مبدعا في ذلك اتجاهات متباعدة تتوزع دفعته"[1].

وقد ربط برغسون الحياة بالوعي، وهذا ما يؤسس لانفلات الحياة من قبضة الحتمية، حيث يقول:" بالاختصار إن المادة هي الجمود، وهي الهندسة وهي الحتمية والضرورة".[2] إلا أن الحياة الحقه عنده تظهر مع الحركة غير المتوقعة والحرة، لأن الكائن الحي يختار وينزع إلى الاختيار، وأن دوره هو الخلق في عالم يكون فيه الباقي غير الحي محددا، لتنشأ منطقة غير قابلة للتحديد، من أجل خلق المستقبل.

ويعتبر برغسون أن الشعور هو أساس الحرية عند الحيوانات، لأنه كلما تقدم الحيوان في المراكز العصبية فإنه يهب الكائن الحي القدرة على الانتخاب والاختيار بين عدد أكبر من الأعمال والعكس صحيح، وبالتالي فالحياة هي الشعور الذي قذف بها داخل المادة، كانت تركز انتباهها إما في حركتها الخاصة، وإما في المادة التي تخترقها، وهكذا كانت تسير في اتجاه الحدس أو في اتجاه العقل، وهذا يعني ان الحياة هو تيار كبير من الشعور يضم إمكانات متداخلة من كل نوع قد نفد الى المادة ليحملها على التنظيم وليجعلها أداة حرية مع انها الضرورة بعينها، ولهدا فصفة الحياة هي الشعور أو اوعي وسير مطرد نحو الشعور والاختيار.[3]

وانطلاقا من هذه النظرة الحيوية فهم برغسون الحياة بعيدا عن المقولات العقلية، وهذا ما سمح له من وصف الكائن الحي بصفات تميزه عن الجماد، ومن نتساءل ما هي خصائص الظاهرة الحية عند برغسون؟ وهل الجسم الحي جسم كغيره من الاجسام؟

## 2. خصائص الظواهر الحيوية كرد على النزعات الميكانيكية:

[1] هـ. برغسون: المصدر نفسه، ص ص 93، 94.

[2] هـ. برغسون: الطاقة الروحية، المصدر السابق، ص15.

[3] Alfred Fouillee, la pensée et les nouvelle écoles anti-intellectualistes, felix alcan, paris, 1911, p55.

يؤكد برغسون انه لا يمكن اختزال الظواهر الحية وفهمها من خلال علمي الفيزياء والكيمياء، وأن التمعن في الكائنات الحية عموما والأكثر تعقيدا خصوصا يوحي لنا أنها تنفرد بعدة خصائص تميزها على المادة الجامدة، منها:

**أ. الديمومة والتطور**: اكد ان الصيرورة والتطور هي التي تحكم العالم، وانها بعيدة عن العلم الذي يخضع لأسس عقلية ثابتة، ولهذا فالعلم البيولوجي الحق عنده زماني لا يمكن تحديده، لان فيه استمرارية او ديمومة، والتي تعتبر عامل من عوامل الخلق[1]، حيث يقول:" إن التطور يؤلف تاريخا واحدا لا ينقسم، ولأن المادة الحية هي الحاملة للتطور وتتصف بالوحدة والاتصال". كما أن برغسون في محاولة رده على الاتجاهات الآلية استند إلى دليل أساسي وجوهري يتجلى من خلال الديمومة وبالتحديد معناها، حيث يقول:" ولسنا نزعم أننا سنأتي برد رياضي ونهائي على هذا المفهوم، وأما الرد الذي نستخرجه من معاني الديمومة هو الرد الوحيد الممكن في نظرنا..." [2]. وهذا يعني ان الكائن الحي عند برغسون يعد نفسه من مرحلة لأخرى للتغير، حيث يقول: " أن تطور الكائن الحي كتطور الجنين يتضمن تسجيلا متصلا للديمومة، وبقاء للماضي في الحاضر.

يتجلى لنا أنه يجب إدراك الديمومة الحقة إدراكا مباشرا بالاستقرار فيها دفعة واحدة، فالعقل لا يتصور إلا ما هو متحقق وثابت وعملي انطلاقا من المحيط الثابت، لأن الفاعلية العقلية مندمجة في العالم المادي، ولو ظهرت لنا المادة دائمة الجريان لما استطاع العقل أن يحدد أي فعل من أفعالنا، فالفعل هنا دائم الذوبان والمستقبل غير قابل للتوقع ويفلت من قبضتنا. ويؤكد برغسون: " أن العالم المادي يتميز بعدة كيفيات... وتظهر كل كيفية لنا ثابتة تنتظر كيفية أخرى تحل مكانها رغم أن التحليل يؤكد انقسام الكيفية إلى حركات أولية كبيرة وهي في تغير، ومن العبث البحث عن المتغير وراء التغير[3].

ولهذا فالصيرورة هي استمرار في التغير الكيفي والتنوع اللانهائي، لأن الحياة لا تبعث في هذه الصورة المتحركة في المكان والتي أنتجها الشريط السينمائي، الذي يبعث مختلف صور المشهد على التعاقب وعلى الاتصال بعضها ببعض، وبالتالي فالإدراك يكون خارجيا مصطنعا، بدلا من أن نوجه انتباهنا إلى الصيرورة الداخلية.

---

[1] تيسير شيخ الأرض: برغسون، ص100.

[2] هـ. برغسون: التطور المبدع، المصدر السابق، ص23.

[3] المصدر نفسه، ص269.

**ب ـ الفردية**: ان الفردية في عالم الحياة لا يمكن تعريفها تعريفا دقيقا لان ذلك لا ينطبق الا على حقيقة تامة التكوين، وهذا راجع الى ان الخواص الحيوية لم تتحقق بأكملها، بل هي في طريق التحقق[1]، ومن هنا يؤكد برغسون انه لا يوجد في الطبيعة غائية داخلية، ولا فردية مطلقة التميز، وأن العناصر المعضاة التي تدخل في تركيب الفرد تتصف هي الأخرى بالفردية، وكل عنصر منها يطالب بمبدئه الحيوي، أما بالنسبة للفرد فهو غير مستقل كليا عن الأشياء الأخرى، بمبدأ حيوي خاص، فمثلا الحيوانات الفقرية العليا يعتبر أكثر الأجسام تفردا، رغم أنه همزة وصل بين الوالدين انطلاقا من تلقيح البويضة، حيث يقول: " أن كل كائن عضوي فردي وإن كان بدن إنسان إلا أنه برعم نبت على الجسم الحاصل عن اتحاد الوالدين"[2].

من خلاصة القول ان قيمة العقل محدودة بطبيعته وهو يكشف بواسطة اسسه ومناهجه العلمية عن أسرار المادة الجامدة تدريجيا، وأما الحياة فهي تفلت من قبضته، وما يعرض لنا منها ما هي إلا ترجمات ورموز جامدة خارجية لا تعبر عن حقيقتها الداخلية، ذات الطبيعة الحركية المتغيرة والتي تمتاز بالفردية وبالديمومة والتطور، ومنه فالتفسير الحقيقي وهو التفسير الميتافيزيقي لا التفسير العلمي ويجب البحث عنه في طريق آخر، أي في اتجاه التعاطف او الحدس لا في جهة العقل". وبالتالي فالمنهج القادر على كشف جوهر الحياة هو المنهج الحدسي، فيا ترى ما حقيقته؟.

**3. المنهج الحدسي**: يعرف الحدس بانه ذلك الجهد الذي ننفذ به الى باطن الموضوع لمعرفته من الداخل، كما يجعل برغسون من الحدس ضربا من التعاطف العقلي، الذي يمتزج فيه العقل والغريزة، ومن هذا فإن الحدس يقودنا إلى داخل الحياة، ونعني بالحدس الغريزة الخالية من الغرض الشاعرة بنفسها، والقادرة على تأمل موضوعها وتوسيعه توسيعا غير محدود.

وقد حرص برغسون على أن ينفذ إلى طبيعة الأشياء الحية الشاعرة عن طريق الحدس الذي يعتبره أقرب إلى التفكير منه إلى العاطفة، بيد أن الحدس في حد ذاته تجربة ميتافيزيقية تمكننا من إدراك خصائص حياتنا النفسية واستمراريتها، وبهذا فالحدس لا يكشف لنا عن الروح فقط، بل يكشف لنا أيضا عن الديمومة والتغير المحض[3]. وبهذا يستطيع **الحدس** أن يقود العقل إلى الاعتراف: " بأن الحياة لا تدخل في

---

[1] الشيخ كامل محمد محمد عويضة: هنري برغسون فيلسوف المذهب المادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 133.

[2] التطور الخلاق، ص 44.

[3] زكريا إبراهيم: برغسون، ط2، دار المعارف مصر، ص52.

مقولة الكثرة ولا في مقولة الوحدة، وان السببية الميكانيكية والغائية لا تعبران عن عملية الحياة تعبيرا كافيا، ثم أن هذا **الحدس** الذي يقيم بيننا وبين سائر الأحياء رابطة التعاطف التي ترتبط بالغريزة ، ولو استطاع هذا التعاطف أن يوسع موضوعه، وأن يتأمل ذاته لأعطانا مفتاح العملية الحيوية، ورغم ذلك فإن برغسون يعتبر أن العقل هو بمثابة محرك للحدس، حيث يعمل على احيائه بالهزة التي تجعله يصعد في طريقه لبلوغ الموضع الذي هو فيه، فلولا العقل لظل الحدس كالغريزة منكبا على الموضوع العملي النفعي، ومتوقفا على ما هو ظاهر وخارجي.

**خاتمة:** في الأخير نصل النظرة البرغسونية قد غير النماذج السائدة حديثا بمقولات جديدة تنسجم وخصوصيات الكائن الحي، وحاو ان ينظر الى الحياة او الظواهر البيولوجية من الداخل اخذا بجوهرها، وبهذا فقد رد على النزعة العلمية الالية التي نظرة الى الكائن الحي من الخارج وفسرته بمقولات عقلية ثابتة لا تتلاءم وطبيعة الحي، ومن هذا أكد ان للعلم حدود وخصوصيات لأنه يعمل أولا وقبل كل شيء في نطاق الرموز، وحتى إذا تطلعنا إلى أكثر العلوم الطبيعية بعدا عن التجريد ألا وهي علوم الحياة، فإننا نجد بأنها تختص بالصور الحسية الخارجية للكائنات الحية.

إن الفلسفة موضوعها الروح ومنهجها التجربة الباطنية والروحية، ومصدرها الحدس الذي أساسه التعاطف الروحي أو الغريزة السامية، وليس من شأن الفلسفة أن تفسر التغير بجوهر ثابت أو أن تعلل الحركة بمحرك ساكن، بل إن مهمتها تنحصر في النفاذ إلى صميم الصيرورة الكونية. وبهذا نجد ان برغسون قد استبدل فكرة التطور التي تؤكد ان العالم منظم بقوانيين ثابتة ودقيقة بفكرة التطور الخالق التي تحتفظ بالحرية او تترك مساحة للحرية التي تفلت من الحساب.

كما نلاحظ ان برغسون قد بحث في الحياة وربطها بنظرية المعرفة، حيث أكد انهما لا ينفصلان عن بعضهما البعض، بحيث ان نظرية المعرفة ونظرية الحياة لا ينفصلان أحدهما عن الاخر، كما حاول تأسيس ميتافيزيقا وضعية بمعناها الشمولي، من حيث ان التجربة الميتافيزيقية تتعالى عن التجربة العلمية بمواضيعها، وتهدف من خلال الحدس الى النفاذ لباطن وجوهر الأشياء من اجل معرفة المطلق بدلا من المعرفة الجزئية القائمة على النظرة التجريبية السكونية الزمكانية، لا الزمانية المطلقة.

بالإضافة ان الفلسفة الحيوية البرغسونية التي بنيت على اساس هدمها للتفسيرات البيوتكنولوجية قد تركت اثرا بالغا على الفلسفة المعاصرة من جميع الجوانب، وعلى سبيل المثال بلا الحصر نجد انها قد

ادخلت مقولات جديدة تعبر عن جوهر الحياة من الجهة الروحية والسيكولوجية، كما حددت العمل العلمي وحدوده المعرفية واخلاقياته، وهذا ما يمكن ان نلمسه في البيواتيقا او البيولوجيا الاخلاقية، اي وضع حدود اخلاقية للممارسات البيولوجية على الكائن الحي. وهذا ما يعطي للحياة قدسيتها.

**. قائمة المصادر والمراجع:**

**1. قائمة المصادر:**

**أ. بالعربية:**

1. هـ. برغسون: التطور المبدع، ت: جميل صليبا، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، 1981.
2. هـ. برغسون: الطاقة الروحية، ت: سامي الدروبي، دار الفكر العربي، ط1، 1963.

**ب . بالاجنبية:**

- Henri Bergson, *La pensée et le mouvant*, 3 eme édition, press universitaire de France, paris, 1955.

**2. قائمة المراجع:**

**أ. بالعربية:**

1. . أ. د. نزار دندش: ما هو العلم؟ رحلة التفكير العلمي، ط1، دار الفرابي، بيروت، 2009.
2. . اندريه كريستون: برغسون، حياته، فلسفته، ت: نبيه صقر، منشورات عويدات، بيروت، 1982.
3. . اندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، ت: احد خليل، المجلد الأول، منشورات عويدات، لبنان، ط2، 2001، ص 1429.
4. . تشارلز داروين: أصل الأنواع، ت: إسماعيل مظهر، مكتبة النهضة، بيروت.
5. . سالم يفوت: الفلسفة والعلم في العصر الكلاسيكي، سيادة التصور الميكانيكي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1989.
6. . عثمان أمين: ديكارت، ط6، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1989.

7. . نجيب البلدي: ديكارت سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف بمصر.
8. تيسير شيخ الأرض: برغسون، ص100.
9. جاك أتالي: ***معجم القرن الواحد والعشرين***، ت: يوسف ضومط، ط1، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 2000.
10. زكريا إبراهيم: برغسون
11. الشيخ كامل محمد محمد عويضة: هنري برغسون فيلسوف المذهب المادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 133.
12. عبد المنعم الحنفي: ***المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة***، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000.
13. كميليا سلوم عكاوي: ***كشكول المعارف والعلوم***، ط1، دار الحرف والعرف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000.

**ب . بالاجنبية:**

1. Alfred Fouillee, la pensée et les nouvelle écoles anti-intellectualistes, felix alcan, paris, 1911.
2. *C.BERNARD : principe de la médecine expérimentale, presse universitaire de France, paris, 1947.*
3. C.BERNARD*: introduction à l'étude de la medecine experimentale, 4eme edition, libraries de la grave, Paris; 1920*.
4. Gilles Renard, *L'épistémologie chez Georges Canguilhem*, 2 édition: Nathan, paris,1996.
5. J. Chevalier: bergson, édition 6 , libririe plon.
6. J. Piaget, *Logique et connaissance scientifique*, éd: Gallimard, 1967,
7. Lamarck, *philosophie zoologique*, librairie Schleicher, paris,1907, p15.
8. petit Larousse illustré, direction générale: sabelle jeuge-maynant, édition, 2013 .
9. R.Descartes : prncipes de la philosophe, parties 4, vol 3, éd : f .Alquié, 1973,
10. René scriban, biotechnologie, 5eme édition, 11rue Lavoisier paris.
11. Xavier Bichat, *Recherches physiologiques sur la vie et la mort*, paris, Verviers, marabout, université ,1973.